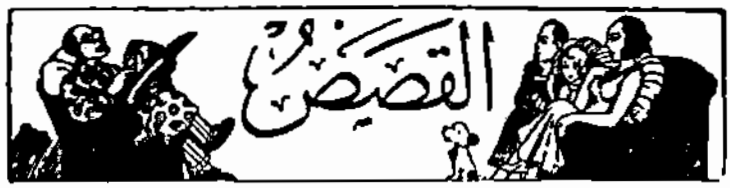

قلب كبـــــير

« إلى صديقي الأستاذ أنور المداوى
إعجاباً بقلبه الكبير »

للأستاذ شاكر خصباك

من كان يتصور هـذا ؟! من كان يتصور أن ذلك القلب الصغير يتسع لـكل تلك العواطف الكبيرة الزاخرة بأسمى مشاعر الحب والوفاء ؟! أجل، من كان يتصور هـذا ؟! ومع ذلك فقد جرى كل شيء في بساطة مدهشة .

كان المنزل الذى اتخذته مقراً لى فى القاهرة يعج بالمغريات ، وكنت أحاول إقناع نفسى باستشاف حياة جديدة خالية من عنصر النساء – بعد أن جر على متاعب جمة – فانطلقت أنقب عن أسرة صغيرة أشاركها العيش علنى أسكن إلى حياة رزينة. وهكذا عرفت تلك الأسرة الفرنسية الطيبة . وكان قوامها زوجين فى العقد الرابع من عمرهما وصبية فى ربيعها الثالث عشر ذات حظ موفور من الحسن يشعرها الأصفر الذهبى وعينيها الزرقاوين الواسعتين وملامحها الدقيقة الساذجة .

وانطويت على نفسى فى الأيام الأولى، فلم أتبادل مع الأسرة سوى أحاديث قصيرة على مائدة الطعام . وفيما عدا ذلك كنت أعتكف فى غرفتى منصرفاً إلى القراءة والدرس . لـكننى ما لبثت

وفى فرنسا : نجد الأستـــــاذ هنرى بيرون المولود فى سنة ١٨٨١ . كما نجد الأستاذ جورج دوماس george Dumas المعروف بأبحاثه الخاصة بالانفعالات .

وفى روسيا : نجد تياراً جديداً ينادى بدراسة الفرد « كعضو فى طبقة اقتصادية أو مهنية » ويتزعم هذا التيار علماء نذكر منهم الأستـــــاذ كورنيلوف المولود فى سنة ١٨٧٩ ، ومدير علم النفس النفس التجريبى فى جامعة ولاية موسكو .

ونحب هنا أن نشير إلى أن مؤلف هذا الـكتاب ، هو نفسه من بين علماء وسط الطريق أو أن هؤلاء العلماء لا يقفون من المدارس المعاصرة فى علم النفس موقف المتفرج ، بل إنهم يقومون بمهمة التوفيق حينـــــا ، وحينا آخر يقومون باختيار ما هو أحسن ، وأقرب إلى الصواب عند كل من هذه المدارس ، ليسيروا به قدما ، تاركين المدارس فى تنازعها وتضاربها . فعلى يدى علماء وسط الطريق يجب أن نتوقع من الكشف والاستقلال فى الموضوعات والمناهج على السواء أكثر مما نتوقع من المدارس .

* * *

وبعد فهذا رسم تخطيطى للكتاب الفذ الذى اضطلع بمهمة ترجمته إلى العربية الأستاذ الشاب « كمال دسوقى » بما عرف عنه من حماس للعلم منقطع النظير . ولا يفوتنى هنا أن أشكر لصديقى الأستاذ هذا المجهود الجبار الذى يبذله ، من يوم بدأ يترجم كتابه طالبا بالسنة النهائية من قسم الفلسفة بكلية الآداب . وتتجلى آثار هذا المجهود فى مقدمته التى يلخص فيها أهم التيارات التى تجاذب علم النفس ، والتى يورد فيها ترجمة وافية دقيقة لمؤلف الـكتاب وثبتا لمؤلفاته ، كما يتجلى فى التعليقات المسهبة التى يعقب بها المترجم على كل فصل من فصول الـكتاب » وهذه ميزة لا نعرف أن المؤلف قد سبق إليها من قبل . وفى ثبت المراجع الذى ذيل به الـكتاب فضلا عن المراجع التى أوردها المؤلف ، كما تتجلى كذلك فى أمانة النقل ، ودقته ، مع ما فى أسلوب الـكتاب من التواء وغموض .

وختاما أرجو لعلم النفس على الخصوص ، وللفلسفة بوجه عام ، خيراً كثيراً على يدى المترجم وغيره من الشبان المشتغلين بهذه الدراسات فى مصر والشرق العربى ، عن طريق الترجمة والتأليف على السواء .

المنصورة

مصطفى أحمد فوده

ليسانسيه فى الفلسفة
ومدرس بالمدارس الأميرية بالمنصورة

أن استشمرت الوحشة فى هـذه الحياة الرتيبة ، وحننت إلى دنيا اللهو والمرح . وخشيت أن يفلت الزمام منى فمعقـدت العزم على الاندماج فى الأسرة لو أد هذا الحنين . وقـد شجعنى ما لمسته فى الزوجين من طيبة ونبل على المضى فى قرارى قدر الامكان .

وشرعنا ننتظم كل مساء فى جلسة هادئة لنتحدث فى شتى شئون الحياة . وكنت أنصرف إلى الزوجين أثناء تلك الجلسات غير معنى بتوجيه الحـديث الى فلورا . وأحسب أننى لست ملوما على ذلك السلوك . فقد كانت [illegible] كانت تبديه من جمود أقرب إلى النفور . وكان يحـدث لى أحيانا أن ألتفت نحوها عفواً فأراها مطلقة الأنظار بوجهى وهى سـارحة الفـكر ، وتلتقى عيناى بعينيها وسرعان ما تغض طرفها فى ارتباك وتعلو وجنتيها حمرة خفيفة .

وضقت بجمودهاذرعاً فسألت والديها عما يدعوها إلى النفور منى ، فأكدالى أنها شديدة الخجل وأنها فى حاجة إلى مدة كافية ريثما تألف صحبتى . فحفزنى هذا الـكلام على انتهاج خطة جديدة للتقرب إليها ، وبدأت أوليهانصيباً كبيراً من عنايتى . وسرعان ما أخذت فلورا تتحررمن جمودها شيئاً فشيئاً وإن لم يزايلها خجلها الشديد .

« إن فلورا طفلة عجيبة » . تلك هى الفـكرة التى نبعت فى أعماقى وتسربت إلى جوارحى رويداًرويداًحتى تشبع بها كيانى. إنها عجيبة بوجهها البرىء وخجلها الساذج وسلوكها المثير. وكلما ازددت بها معرفة اشتدت محبتى لها . شىء معين فيها كان يضرم حبى. أهى تلك النظرة الوادعة التى تطل من عينيها دوماً؟! أم تلك الحمرة الوردية التى تصبغ وجنتيها أبداً بصبغة الحياء ؟! أم تلك الملامح العذبة التى تعبرأدق التعبيرعن طهارة الطفولة وجمالها الساذج ؟! لا أدرى بالضبط ، ولعل تلك الأسباب مجتمعة كانت تحببها إلى . وحمدت الله حين بدا لى أن نفورها القديم منى قد اختفى تماماً . وعجبت كيف ألفت صحبتى بتلك السرعة المدهشة حين غمرتها باهتمامى . وأصبح من الواضح أنها تحمـل لى بين جنبيها مودة عميقة . لـكن هـدوءها المتناهى وخجلها الشديد كانا يطبعان حركاتها بطابع التزمت . ولعل الشىء الوحيـد الذى كان يطلق من تلك المحبة هو عيناها ... عيناها المنطويتان على بحر جياش بالعواطف المضطرمة . ومع أنها كانت تحب أن تجلس إلى دوماً ، إلا أنها لم تكن تقتحم على غرفتى أبداً ، بل كانت تنتظر فى لهفة أن أسألها ذلك بنفسى . واعتـــدت بدورى أن أستدعيها إلى غرفتى عصر كل يوم حين تعود من المدرسة ، لتقص على ما مر بها من حوادث النهار . وقد يصادف أن يضيق وقتى عن الاستماع إليها بعض الأحيان ، فأضطر إلى القراءة والتظاهر بالاستماع ، فكانت تكف عن الـكلام وتركن إلى الصمت رغم احتجاجى ، [illegible] عينين .. عينـين حنونتين تتعلقان بوجهى فى شرود ا لـكنها رغم كل شىء كانت تحـرص على قضاء العصر معى ، فتتعمد المرورأمام باب غرفتى — ساعة رجوعها إلى المدرسة — وتخاطب أمها بصوت عال ليبلغ مسامعى ، حتى أدعوها إلى .

والواقع أننى لم أستشعر الضيق من إقبالها على صحبتى بهذا الحماس العظيم ، بل كنت أشجعها على ذلك غاية التشجيع ، حتى أننى قبلت حين سـألتنى ذات يوم فى إلحاح أن أدرسها اللغة العربية فى فرصى السانحـة . فقد كنت آمل أن تصرفنى صحبتها عن الصديقات اللاهيات . هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى كنت أحس نحوها بحب صـــادق ومودة عميقة ، وحملنى ذلك على ملازمتها دوماً ، بل دفعنى إلى استصحابها فى نزهاتى خارج الدار ، حتى صار من المـألوف أن تكون فلورا رفيقتى كلما رغبت فى نزهة أو قصدت إلى سينما . وكم كانت تحس بالغبطة والسرور لتلك النزهات ، فـكأن شعلة سحرية من السعادة تتوهج فى أعماقها فيفيض وجهها بشراً وهناءة ا غير أننى فى الحقيقة لم أكن دائم الرضى عن هذه الحياة ، بل كانت تتملكنى أحياناً مشاعر أسى ويرمضنى حنين ماح إلى حيـاتى اللاهية . لـكننى كنت أسارع إلى الافـــلات من شراك تلك المشاعر فيعاودنى الاطمئنان وهدوء البال .

وذات أمسـية كنت أتنزه مع فلورا فى شارع فاروق المحاذى للنيل فالتقيت بصديقى حمـدى ، وكنت لم أره من مدة بعيدة ، فهتف فى دهشة ممزوجة بالفرح: ماذا جرى لك يا سامى؟! لم يعد بوسع أحد أن يراك .

فأجبته معتذراً : إنها ظروف الحيـاة لعنها الله .. حقا إننى

مشتاق لرؤيتك .

فصاح مازحاً وهو يرمى فلورا بنظرة استغراب : لعلك مشغول بهذه الطفلة .. ولكننى لا أرتضى لك هذا المصير الأليم بعد مغامراتك الرائعة مع الغيد الحسان .

وربت على كتفى مداعباً وانصرف معروفاه ضاحكا . وتابعت التنزه مع فلورا وعباراته الساخرة تموج فى أعماقى .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. أنا مشغول بهذه الطفلة .. هل ومتى وقف على هذه الطفلة .. لم أعد أعرف معنى المرأة الناضجة .. فلورا تسرق شبابى . فلورا تسرق شبابى .. فلورا تسرق شبابى ..!

مرت أيام وأنا مرهق الذهن بتلك الأفكار الثائرة . وعادت صور الماضى المغرية تراود مخيلتى فى إلحاح . وضجت أعماق بالسخرية المرة .. ما أتفه عقلى وأسخف سلوكى ! كيف بددت وقتى طيلة هذه الأسابيع برفقة طفلة صغيرة نابذاً الفتيات الناضجات اللواتى يقدمن لى كل ما تتوق إليه نفسى ؟!

ثم تحطمت القيود التى كبلت بها رغباتى منذ أن هبطت على دار الأسرة الفرنسية، وجددت الصلة بنفر من صديقاتى القديمات، وتبعاً لذلك تغير منهج حياتى . لم يتبق لى هناك وقت للانضمام إلى أفراد الأسرة فى جلستهم اليومية بعد العشاء . ولم يعد بإمكانى أيضاً أن أرى فلورا عصراً، إذ طفقت أغادر الدار قبل أن تؤوب من المدرسة. وبدأت أحاول أن أتعمد فى الوقت الذى أقضيه فى المنزل فأقصره على القراءة والدرس . واقتضانى ذلك أن أتجنب الاجتماع بفلورا جهد إمكانى .

لم يعبأ الزوجان بالانقلاب الذى طرأ على حياتى كثيراً ، أما فلورا فانقلبت حياتها تبعاً لانقلابى . وطبيعى أننى لم أعد أراها كثيراً فى عهدى الجديد لأعرف الشيء الكافى عن حياتها ، لكننى أستطيع أن أعلن ذلك الحكم وأنا مطمئن إلى حقيقته . فقد أدركت كل شيء من عينيها .. ذلك الكتاب المفتوح الذى كانت صحائفه تعكس صدى عواطفها فى صراحة وصدق . تعكر البحر الصافى العميق الأغوار بنظرة حزينة ، وامتزجت العذوبة الفياضة فى الوجه البرىء بمسحة كدرة . كان يكفى أى شخص أن يلقى عليها نظرة عابرة ليوقن أنها طفلة معذبة . وأحسب أن عواطفى قد تحجرت تلك الآونة فلم يثرنى عذابها كثيراً . أو لعل اندفاعى فى تيار اللهو كان يستغرق كل اهتمامى . فلورا .. تلك الطفلة المعذبة .. أية قسوة كان ينطوى عليها قلبى لأندفع فى إيلام مشاعرها دون أدنى اكتراث؟! كان لا بد لها أن ترانى وإن لم أعد أدعوها. وبدأت تتسلل إلى غرفتى فى خطوات مضطربة وتقف أمامى وهى خافضة النظر . وأرفع رأسى وأنظر إليها فى شىء من الضيق ، فتبادرنى قائلة بلسان متلعثم : ألا يمكننى أن أحدثك عن المدرسة تالا؟!

فأرد عليها فى لهجة متبرمة : من فضلك يا فلورا .. فى وقت آخر .

فيتعكر صفاء وجهها بتقطيبة اكتئاب وتلتوى شفتاها ، ثم تنسحب بهدوء وفى عينيها نظرة كسيرة . أما الدرس العربى فقد باعدت بين مواعيده حتى أصبح فى حكم المعدم . لكننى لم أكن دائم القسوة معها ، بل كنت أجيبها إلى سؤالها أحياناً ، فأصحبها فى نزهة أو إلى السينما ، وأن اعتذرت عن طلبها فى غالب الأحيان وحملتها من عذاب الخجل ما لا تستطيع حمله .

وذات أمسية غادرنا دار السينما بعد مشاهدة فلم غرامى ، وسلكنا شارع سليمان باشا عائدين إلى المنزل . وكانت فلورا تسير إلى جانبى والسرور ينير وجهها ، وهى صامتة تماماً كأنها تحت سلطان قوة خفية ! وفجأة التفتت إلى فى تردد وسألتنى بصوت راعش والدم يندفع إلى وجهها لاهباً : ماذا يعنى وقوع المرأة فى غرام الرجل يا سامى ؟

فنظرت إليها دهشاً، ثم أدركت على الفور أن عنف العواطف فى « الفلم » قد أثار فضولها . فقلت بلهجة متلطفة : لا تتعجلى الأمور يا عزيزتى فلورا .. هذه عاطفة يصعب على الصغار فهمها ، وستدركين معناها — عندما تكبرين — من تلقاء نفسك .

فقاطعتنى بلهجة احتجاج: ولكننى أستطيع فهمها الآن فأنا فتاة كبيرة. أنت لا تعرف عمرى الحقيقى .. إن لى خمسة عشر عاما .

فأجبتها مازحاً: حقا !! لقد كنت أعتقد أنك فى الثالثة عشرة من عمرك . انت تبدين أصغر من سنك كثيراً ..!

فصاحت فرحة : هذا صحيح .. إننى أبدو أصغر من سنى كثيراً ، وفى وسعى أن أفهم كما تفهم الفتيات الكبيرات . .

فقلت لها فى لهجة جدية : إسمعى يا فلورا دعى السؤال عن

مثل هذه الأمور حتى تكبرى ، فأنت الآن طفلة صغيرة لا يصح أن تلقى هذه الأسئلة على الآخرين .

وما كدت أفرغ من قولى حتى سمعت صوتاً يهتف فى حرارة: «هالو ساى! » . والتفت ، وإذا بى أمام صديقتى «سوسو» التى كنت قد أخلفت موعدى معها قبل أيام ، وراحت «سوسو» تفتن فى عتابى متهمة إياى بتفضيل صديقاتى الأخريات بينما انطلقت فلورا ترقبها فى غيظ واشمئزاز. واستطعت أن أتخلص من عتابها أخيراً بالاتفاق على موعد آخر ، فانصرفت وهى تحذرنى من إخلاف الموعد مرة أخرى . وتابعت السير مع فلورا فى صمت ، وعبثاً حاولت وصل الحديث بيننا ، إذ تمسكت فلورا بصمتها وقد ارتسم على وجهها شتيت من عواطف الخيبة والمرارة والغيظ .

* * *

تغير سلوك فلورا تجاهى منذ تلك الليلة تغيراً عجيباً ولم تعد تحتفظ لى بمودتها القديمة . فقد صادف فى اليوم التالى أن كان ميعاد درسها العربى ، فاستدعيتها إلى غرفتى لتستمع إلى الدرس. ولشدما دهشت حين قرأت على صفحة وجهها دلائل قسوة وعنف ولمحت فى عينيها نظرة صارمة يمتزج فيها الغضب بالنفور بالأسى. وانتصبت أمامى شامخة الأنف مقطبة الوجه ، فنظرت إليها متعجباً وقلت باستغراب : اجلسى يا فلورا ... ألست مستعدة لدرسك العربى ؟!

فأجابتنى بلهجة جامدة : كلا ..

فسألتها فى دهشة : لماذا يا فلورا ؟! يجب أن أعرف فالأمر يهمنى

فانفجرت صائحة فى غضب : انت تخدعنى فالأمر لا يهمك إننى لم أعد أحب هذه اللغة . . لا أحبها . لا أحبها . . ولن أستمع إلى درس عربى آخر .

وروعتنى ثورتها فلبثت أرقبها صامتاً مشدوهاً . وقبل أن أستفيق من ذهولى هرعت إلى غرفتها وأوصدت وراءها الباب. وقصدت إليها من فورى واستويت إزاء الباب بعد أن نقرت عليه فى رفق . هى ... هى ... ماذا؟! أتبكين يا فلورا؟! ساد الصمت برهة، ثم تناهى إلى سمعى صوت مرتعش يهمس: «أرجوك ... اذهب» فقفلت راجعاً إلى غرفتى تتنازعنى مشاعر الألم والإشفاق .

انطوت فلورا على نفسها ، وبانت تحتجب عن عينى دوماً . ولم أعد أراها إلا على مائدة العشاء وهى مقبلة على طعامها موردة الخدين خافضة النظر . وحين تلتقى أنظارنا عرضاً يحمر وجهها وتلتمع عيناها ويزوغ بصرها عن وجهى فى قلق وارتباك . وأيقنت أنها عادت إلى نفورها القديم منى ، فقد أصبحت كل حركة من حركاتها وكل لفتة من لفتاتها تعبر عن هذا النفور ، ولكن عينيها ظلتا مشحونتين بأسى عميق ووجهها مغلفاً بكآبة قاسية .

ومضت الأيام وأنا مشغول بصديقاتى اللاهيات غير عابئ بأمر فلورا . وظلت هى تحرص على الابتعاد عنى فتؤازرنى فى إهمالها ، إلى أن حل ذلك المساء . ورجعت إلى المنزل على غير ميعادى ، وما كدت أفتح باب غرفتى حتى ألفيتنى وجهاً لوجه أمام فلورا.! ألم يحدث لك أن فاجأت لصاً يهم بمغادرة المكان بعد أن سرق أثمن محتوياته ؟! تلك هى حالتها بالضبط حينما باغتها بدخولى . تقلصت ملامحها واكفهر وجهها واشتعلت عواطف الخوف والحيرة والخجل فى عينيها القلقتين . ماذا بك يا فلورا ؟! ما الذى يروعك؟! خطوت نحوها فى بشاشة فاندفعت صوب الباب بلهفة طائر سجين فتح له القفص سهواً ... كلا ، لن أدعك تخرجين . وقبضت على ذراعها وأنا أقول فى لطف : مرحباً بك يا فلورا ... لماذا تسرعين ؟!

فانطلقت تناضل لتخليص ذراعها من قبضتى وهى تردد بصوت مخنوق : دعنى أذهب ... أرجوك ، دعنى أذهب .

لكننى أجلستها على أحد المقاعد عنوة وأنا أقول فى رقة : مهلا يا عزيزتى فلورا ... لا داعى للعجلة..

فصاحت فى لهجة غاضبة وهى تتململ فى مقعدها : أنا لست عزيزتك ... دعنى أذهب .

فواصلت كلامى ضاحكاً : لا تتزوى يا فلورا ، فأنا أعلم أنك غاضبة علىّ . والآن أنبئينى ؛ أجئت لتزورينى أم لتستردى كراسة اللغة العربية ؟!

فرمقتنى لحظة بنظرات متأملة ، ثم غمغمت بلهجة متعثرة : أعطنى دفتر اللغة العربية .

فاتجهت إلى المكتب صامتاً ومضيت أقلب الكتب والدفاتر وهى ترمقنى بنظراتها المبهمة . وحين قدمت إليها الكراسة حدقت فى وجهى ملياً ثم قفزت على قدميها ثائرة وانهالت على الكراسة تمزقها بأسنانها وهى تصرخ فى لهجة معذبة : إنى أكرهك ... أكرهك ... أكرهك .

وألقت القصاصات على الأرض فى عنف ومرقت من الباب ! وتسابقت على القصد مذهولا وصراخها يدوى فى أذنى ... تكرهنى ؟! لماذا ؟! وأى دافع ساقها إلى غرفتى إذن ؟ ! ولماذا امتلكها الفزع ساعة رؤيتى ؟ !

وبدأ سلوكها الغريب يثير فى رأسى عشرات الأسئلة ، وطفقت أحسب له ألف حساب . والظاهر أننى إنسان من طراز خاص يشذ عن الانسان العادى. فمع أننى أفلحت فى التخلص من صحبتها ، ومع أنها غابت عن أفق حياتى ، كما شاءت رغبتى ، إلا أننى بدأت أحس إثر تلك الليلة بالضيق والحنق من تصرفاتها الغريبة . واكتسبت حاسة جديدة لنقد سلوكها تجاهى . لماذا تهرب من لقائى؟! ولماذا تحاول أن تنأى عنى ؟! أتكرهنى حقاً كما أعلنت ذلك ؟ يالها من طفلة مزعجة . كأن المرء لا عمل له فى الحياة سوى العناية بها ، فان لم يفعل، فعليه أن يتلقى كراهيتها. طفلة شاذة تثير الأعصاب بتصرفاتها السخيفة . إذا التقيت بها فى ردهة المنزل فرت من أمامى كما يفر الحمل من الذئب . وإن جلست إلى والديها اعتكفت فى غرفتها ولم تبارحها إلا بعد أن أخلى المكان . لماذا ؟! أانقلبت وحشاً مفترساً ؟! أين تلك المودة التى كانت تغمرنى بها ؟! إن الحياة لا تطاق فى هذا المسكن .. لا تطاق. ما الذى يشدنى إليه ؟! أخلت القاهرة من منازل مريحة؟! يجب إن أتركه .. يجب أن أغادره إلى نزل آخر .

انتهيت إلى ذلك القرار أخيراً لكننى لم أدرك دوافعه الحقيقية حتى الآن . لماذا ضايقنى ابتعاد فلورا عنى مع أننى كنت راغباً فيه ؟! وماذا يضيرني أن تحتجب عن عينى طفلة لا شأن لى معها ؟! بل لماذا دفعنى ذلك إلى اعتزام الخروج مع أننى سعيت لابعادها بنفسى ؟ ! لا أدرى بالضبط ـ والذى حدث بعد ذلك أن رغبتى تحققت عقب أيام قليلة ، فتركت المسكن ، ولكن لا إلى مسكن آخر ، بل إلى إحدى المستشفيات الخاصة حيث سقطت صريع المرض .

***

أنفقت بضعة أيام فى المستشفى لا أكاد أصحو حتى أفقد وعيى وكنت أرى ـ كلما فتحت عينى ـ فلورا وأبويها إلى جانب سريرى. وفى خلال أيام اشتداد المرض مررت بفترة قاتمة لا أكاد أتذكر منها سوى أخيلة باهتة يغلفها ضباب كثيف . ومن بين ذلك الضباب المتكاثف يبرز وجه فلوريا قوياً واضحاً بلون شاحب وعينين قلقتين وقسمات تتفجر غماً وأسى ولا أذكر متى حدث ذلك وفى أية ساعة من النهار أو الليل ، ولكن الذى أتذكره أننى صحوت على صوت بكاء عنيف ، وفتحت عينى فى صعوبة فطالعتنى صور أشخاص ملتفين حول سريرى. لم أستطع بادىء الأمر أن أميز أحداً منهم ، إذ بدوا أمام عينى كالأطياف . ثم تركزت ملامحهم شيئاً فشيئاً حتى تبينت فيهم الطبيب وفلورا وأبويها. لكن عينى تعلقتا بوجه واحد من وجوههم هو وجه فلورا . كانت الدموع تنحدر على خديها فى غزارة وصوت نحيبها يثير فى القلب أعمق الشجن . وهالنى أن أراها شعلة ملتهبة من الحزن والألم ، فابتسمت لها . وحينئذ حدث ما لا يمكن أن يبرح ذاكرتى مدى الحياة . انطلقت تضحك فى فرح جنونى وهى تحدق فى وجهى كالمخبولة والدموع تنهمر من عينيها مدراراً . وتناهى إلى صياحها كأنه آت من بعيد وهى تهتف بصوت متهدج : « إنه لن يموت ... لن يموت ... ألم تورنه كيف فتح عينيه وابتسم ؟! لن يأخذه الله ... إنه ليس شريراً ... سيشفى بعد أيام قليلة وسأراه كل يوم ... أليس كذلك ياماما ؟! لن يموت ياربى ... لن يموت » . ثم ابتعد الصوت المتحشرج عن مسامعى وبهتت صورة وجه فلورا الماثلة أمامى حتى لم أعد أتبين أو أسمع شيئاً .

وتلك هى الذكرى الوحيدة التى ظلت واضحة فى خيالى أيام الغيبوبة . ثم انقضت تلك الأيام وبدأت أثوب إلى رشدى ، وما كان أسعدنى بالنجاة حينما أنبأنى الطبيب أنه يئس من حياتى حتى عملة ذلك اليأس على مصارحة الأسرة الفرنسية بنهايتى المحتمية . وأنه سعيد جداً إذ خاب ظنه أخيراً .

وانتظرت فى لهفة زيارة فلورا وأبويها ، فطال انتظارى حتى استبد بي القلق. فرجوت الممرضة سميرة – التى تشرف على تمريضى – أن تقوم باستجلاء الأمر . ولشد ما ذهلت حين أعلنت لى فى اليوم التالى أنهم اعتذروا عن زيارتى بكثرة المشاغل ! واستولى على شعور بالاستياء . والقلق ولبثت أياماً عدة أتوقع زيارتهم فى شوق متدفق وأنا ألقى على نفسي عشرات الأسئلة الحائرة دون أن أبتكر لأحدها جواباً معقولا . ثم أخذ اكتراثى بالأمر يتضاءل يوماً عن يوم إثر [illegible] التى [illegible] وبين سميرة واستغرقت كل اهتمامى .

مرت الأيام بطاء كسالى وانزاحت عنى سمات المرض تجاه بشائر الصحة . وكنت قد عقدت النية على مبارحة المستشفى فى صباح اليوم التالى حين أقبل على رسول من صاحب المنزل ينبئنى برحيل الأسرة الفرنسية إلى فرنسا ويطلب إلى اخلاء الدار من متاعى . وللمرة الثانية اجتاحنى الذهول والاستغراب ، وانطلقت أسائل نفسى عن سبب هذا التصرف فى حيرة وغضب .

وفى صباح اليوم التالى قصدت المنزل لأنقل متاعى إلى أحد الفنادق ريثما أعثر على مسكن آخر . صعدت إلى الدار بصحبة البواب ليساعدنى فى حزم الحقائب . وما كدت أجتاز الباب حتى هاجتنى وحشة قاتمة وطفت على مشاعرى أحاسيس تفيض بالشوق والأسى . دخلت غرفتى وأنا أجيل النظر حولى حزيناً آسفاً . وبينما انصرف البواب إلى ترتيب كتبي وملابسى فى الحقائب وقفت مشلول الحركة استعرض مشاهد حياتى منذ أن دخلت الدار حتى غادرتها إلى المستشفى . وفجأة وجدتنى ألتفت إلى البواب وأسأله بلهجة مرة : لماذا رحلوا ياعبده؟!

فتوقف البواب عن العمل ، ونظر إلى فى حزن وأجابنى بلهجة كئيبة : أفلا تعلم يا أستاذ سامى ؟ ! لقد ماتت فلورا فكره أبواها المعيشة من بعدها فى مصر ... ماتت ميتة الحية تحت عجلات « الترو » بينما كانت تستقله صباح أحد الأيام إلى المدرسة .

وصمت لحظة ثم أردف يقول بلهجة ارتياب : لقد سمعت من البعض أنها انتحرت من أجل شاب أصيب بمرض خطير أفقد الأطباء كل أمل فى انقاذ حياته وأنها لم تسقط من العربة قضاء وقدرا ... ولكنها مجرد إشاعة كاذبة ولا شك .

وأصبت بذهول أدنى إلى التحجر وأنا استمع إلى البواب ، وتبلد ذهنى حتى تعذر على أن أتابع ما يقوله . وطفقت أهمس فى لهجة تائهة : فلورا ماتت .. فلورا ما تت.. فلورا ماتت ...!

ثم لاحت منى التفاتة إلى زاوية الغرفة فلمحت الهدايا التى كنت قد قدمتها إليها فى شتى المناسبات . اقتربت منها بخطى ذاهلة ، وجعلت أقلبها بين يدى وخيال فلورا ماثل أمامى وسمعى يتجاوب بتلك العبارة التائهة. واصطدمت يدى بصورة فوتوغرافية صغيرة، فنظرت إليها فى إهمال، وإذا بى أمام صورتى كنت قد فقدتها من أمد بعيد ... !

وداهمنى خور غريب وأنا أحدق فى الصورة مشدوها ، وسرى ضعف شديد فى ساقى فلم يعد بوسعهما حملى ، واحتبس الهواء فى صدرى حتى شعرت بالاختناق، وفجأة تهاوت على الأرض وعيناى تمتلان بالدموع !

القاهرة **شاكر خصباك**

مجلس مديرية قنا

الادارة الهندسية القروية

تقبل عطاءات لغاية ظهر يوم ١٧ – ٥ – ١٩٥٠ من عملية التركيبات الكهربائية للانارة والاجراس للمجموعتين الصحيتين بناحيتى دندرة مركز قنا والدير مركز إسنا .

ويقدم الطلب على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما للحصول على الشروط والمواصفات من الادارة الهندسية القروية بقنا نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم بخلاف مائة مليم أجرة البريد

ويمكن الاطلاع على الرسومات والبيانات اللازمة من الادارة الهندسية القروية بقنا .

٤٦٤٢